﴿الدور التاريخي للشريف أحمد الحارث وابنه محمد
في نجد في القرن الحادي عشر الهجري﴾
إعداد
د. محمد بن حسين الحارثي الشريف
ندوة بلدة الشعراء-الدوادمي-عالية نجد
مساء الجمعة ١٤٤٠/٤/٧هـ
١٤/١٢/٢٠١٨م

الحمد لله رب العالمين الذي جعل مكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت مكة البلد الأمين بمولده ،ووطء قدميه الشريفتين على ثراها وبين شعابها وعلى جبالها، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.

حكومة الأشراف في مكة:

كان قيام حكومة الأشراف في الحجاز "مكة" بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من ٣٥٥-٣٥٧هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة. واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين ٣٥٧-٣٥٨ه، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز بعد موت كافور الإخشيدي، وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في يد العبيديين، وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى "الموسويون" نسبة إلى جدهم (موسى الجون) ، والطبقة الثانية تسمى "السليمانيون" نسبة إلى جدهم (سليمان بن عبد الله الرضا) والطبقة الثالثة تسمى (الهواشم) نسبة إلى جدهم (أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير)والطبقة الرابعة تسمى (القتادات) نسبة إلى جدهم الشريف قتادة بن إدريس الذي حكم مكة من العام ٥٩٧-٦١٧هـ، فبالتالي ينتمي الأشراف أمراء مكة حتى القرن الرابع عشر إلى الطبقة الرابعة من الأشراف الحسنيين الذين حكموا مكة

خلاصة أخبار أشراف مكة وحملاتهم على نجد(١)

مصر للتهنئة وإعلان الطاعة والتبعية[١] ، ومن ثم انضم الحجاز إلى الدولة العثمانية .

وعندما تحدث العصامي عن التماس أبي نمي من السلطان سليمان ابن سليم عام ٩٦١هـ تفويض الأمر إلى ابنه الحسن بن أبي نمي ذكر نجداً من بين الأقاليم التي تحت حمايته[٢] .

وقد عدّ أشراف مكة بلاد نجد من مناطق نفوذهم ، فقاموا بتعيين الشيخ « محمد بن أحمد بن بسام » قاضياً لعالية نجد ومقره الشعراء»[٣] .

ولقبوا أفراداً من أسرتهم بلقب « شريف نجد » مثل أحمد بن محمد الحارث[٤] ، وابنه محمد[٥] وعبدالعزيز بن هزاع[٦]، ومحسن بن عبدالله ابن حسين بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[٧]، وباتخاذ هؤلاء بلدة الشعراء قاعدة لحكمهم في نجد ، وبالحملات التي كانوا يشنونها بين الحين والآخر على بلاد نجد وقبائلها .

وإلى جانب الرغبة في الكسب المادي يمكن تعليل هذا العمل بحرص الأشراف على تقوية قبضتهم على نجد ، انطلاقاً من مسؤوليتهم الرسمية ، وشعورهم بالقوة ، وتوقعهم ضعف إمارات نجد ، وربما كان اعتداء القبائل

(١) العصامي : ٤/ ٢٩٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ٥/ ١٩٠ .
(٢) العصامي : ٤/ ٢٣٠ .
(٣) البسام : علماء نجد ٧٢١-٧٩٢ .
(٤) العصامي : ٤/ ٥١٨ ، وابن بشر ١/ ٧١ .
(٥) ابن ربيعة : حوادث عام ١٠٩٠هـ
(٦) المقرر : ص٢٧٣ ابن عباد أخبار عام ١١٠٨هـ.
(٧) ابن بسام : تحفة المشتاق ، ص٧٤ .

في نجد على قوافل الحجاج والتجار سبباً في وصول شكاوى إلى شريف مكة ، أو إلى الدولة العثمانية ، مما يحمله مسؤولية تأديب هذه القبائل وتأمين طرق الحج والتجارة ، وربما كانت هناك دوافع أخر لهذا العمل ، كأن تكون هناك منافسة بين الأشراف أنفسهم فيُعد شريف مكة جيشاً بقيادة أحد منافسيه ليشغل به فراغ السلطة عنده ، ويشيع به شهوة الحكم لديه ، وربما ليتخلص منه ، وقد يكون القيام بحملة أو أكثر برغبة من أحد الأشراف الذين يُعدُّون أنفسهم لتولي السلطة – كلون من الدعاية والإعلام – ليظهر بمظهر القوة ، وليكسب مؤيدين له ينضمون إلى جيشه ممن يطمعون في الحصول على مكاسب مادية .

وقد شغلت هذه الحملات وأخبار أشراف مكة أربعاً وعشرين سنة هي : ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ١٠١١ ، ١٠١٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٤١ ، ١٠٥٧ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧١ ، ١٠٨٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١٢٧ ، ١١٣٧ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠هـ.

ومما هو جدير بالملاحظة أن حملات أشراف مكة توقفت بعد قيام الدولة السعودية الأولى ، وحتى دخلت العلاقة بينها وبين أشراف مكة دائرة الصراع الذي انتهى باستيلاء السعوديين على الحجاز ؛ مما كان سبباً في قيام محمد علي باشا ورجاله باسم الدولة العثمانية بمحاربة الدولة السعودية الأولى وإخراجها من الحجاز أولاً ، ثم القضاء عليها وفق ما هو معروف .

الجناب العالي الأمير الشريف محمد الحارث

هو محمد الحارث بن الحسن بن محمد أبي نمي الثاني بن بركات
أُطلق عليه لقب" الجناب العالي الأمير محمد بن حسن "

انطلقت حياة الشريف محمد الحارث من أواخر القرن العاشر الهجري
حتى وفاته عام ١٠٣٩هـ

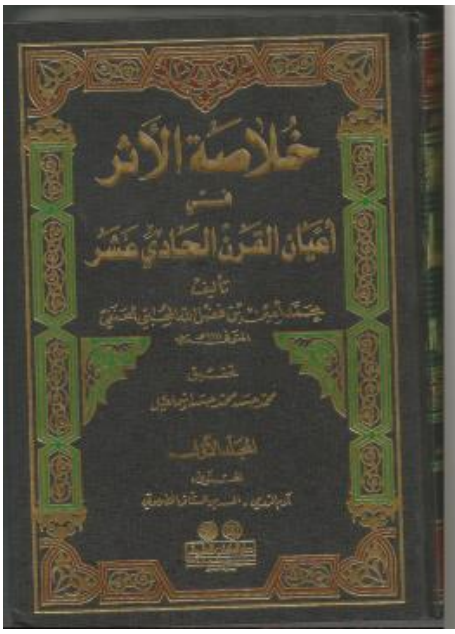

المغرب وبلاد السودان، وليس في جنوبها وغربيها عمارة، والله تعالى أعلم.

(٢٣٧) - «شريف مكة»: الشريف أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي السيد الشريف الأفضل:

كان آية في العقل والذكاء مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمر لا يقدر أحد أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن أحكامه، ولما وقع بين الشريف سعد بن زيد وبين حسن باشا صاحب جدة ما وقع وذهب للمدينة ولي صاحب الترجمة، ولم يتم له ذلك، وكانت وفاته تاسع رجب سنة خمس وثمانين وألف بمكة ودفن في قبة جده الشريف حسن إلى جنب تابوته مما يلي الشرق ووضع عليه تابوت عظيم وخلف أولاداً أمجاداً أكبرهم السيد محمد كريم مشهور وشجاع مخبور ليس في عصره أحد يماثله من الأشراف جوداً وسخاء، وأخوه السيد ناصر أحد دهاة الأشراف وعقلائهم المرجوع إليهم في المهمات كان الشريف بركات يقول: لا أخاف من أحد من الأشراف ما أخاف من ناصر.

شريفا نجد أحمد الحارث وابنه محمد:

دورهما التاريخي:

وكان الدور التاريخي السياسي والعسكري الأبرز لابن الشريف محمد الحارث (أحمد بن محمد الحارث) في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، الذي يصفه المحبي بالقول: " إنه السيد الشريف الأفضل كان آية في العقل والذكاء ، مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمر لا يقدر أحد أن يستدرك عليه شيئا، لحسن أحكامه ... وكانت وفاته في تاسع رجب عام ١٠٨٥هـ بمكة ودفن في قبة جده الحسن إلى جنب تابوته مما يلي الشرق وخلف أولاداً أمجادا....." ونقلت هذه الترجمة معظم المصادر والمراجع المكية بتفصيل أو إيجاز. ويضيف الشلي: " .. ولما رجع عماد الدين الشهير إلى الديار السلطانية سُئل من في الأشراف يستحق المُلك؟ فقال: ثلاثة لا غير .. أحمد الحارث. وحمود بن عبدالله. وبشير بن سليمان"

ففي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري أصبح الشريف أحمد الحارث حاكماً لنجد ، متخذاً من الشعرى ،أو الشَّعْرَاء: وهي بلدة نجدية تقع جنوب غربي الدوادمي بنحو٣٥كم ، وتتبع محافظة الدوادمي التي تبعد عن الرياض بـ٣١٩كم، وتبعد عن مكة بـ٦٤٠كم. وتتميز أرض الشعراء بالخصوبة ووفرة المياه ، وذات موقع متوسط ، وعلى مفترق طرق القوافل، وبها سوق تجارية تقصدها الحاضرة والبادية، وتسمى أيضاً الشريفة والشريفا، وكانت منذ القرن العاشر الهجري حاضرة النشاط الإداري والاقتصادي في عالية نجد. عاصمة لحكمه، ومن بعده ابنه محمد ما يزيد على عشرين عاماً.

وتتحدث عن هذه الولاية أو الشرافة المتمثلة في عدد من الغزوات العسكرية عدد من المصادر التاريخية النجدية ، ولكنها تقع في خلط بين الشريف أحمد الحارث وبين والده الشريف محمد الحارث المتوفى قبيل نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ، أو ابنه محمد بن أحمد الحارث الذي شارك والده هذه الحروب والغزوات بل وأكمل مهمة والده في إدارة الأمور بنجد بعد وفاته عام ١٠٨٥هـ حتى عام١١٠٧هـ.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

١- يذكر أحمد المنقور(ت١١٢٥هـ) في تاريخه في أحداث سنة ١٠٥٦هـ(وفيها ظهر أحمد الحارث وركب له الشيخ محمد في ثرمدا ، وشيخه محمد بن مهنا في مقرن، وقتلتُه قتلة السطوة بعده) ،ويورد نفس الخبر مع اختلاف يسير ابن عباد في تاريخه و الفاخري في تاريخه . فيما يذكر ابن بشر "في تاريخه ، أنه في سنة ١٠٥٦هـ: ظهر الشريف محمد الحارث في نجد غازيا... خلافاً لمن سبقه، وفي حاشية تاريخ ابن عيسى(ت١٣٤٣هـ) ذُكر خبر ابن بشر.

٢- يورد المنقور في أحداث عام ١٠٦٦هـ خبر مناخ الحارث آل مغيرة بعقربا . وكذلك يورد نفس الخبر ابن عباد، والفاخري يذكر ما نصه: " وفي سنة ١٠٦٦هـ نوخ الشريف محمد الحارث آل مغيرة على عقرباء وهي سنة الحجر. إلا أن ابن بشر يشير إلى أن هذه المنازلة وقعت سنة ١٠٦٥هـ ،أما البسام (ت١٣٤٦هـ) في تاريخه ، يوافق المنقور وابن عباد والفاخري في تاريخ الحادثة.

٣- وينفرد الفاخري بذكر ظهور الشريف محمد الحارث سنة ١٠٧١هـ.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:٤

٤- في سنة ١٠٧٨هـ ينفرد ابن بشر بخبر : " أن شريف نجد يومئذ أحمد الحارث ، وولاية مكة لآل زيد " .

٥- ويورد المنقور وابن عباد في أحداث عام ١٠٨٧هـ وقعت الضلفعة بين الحارث وآل ظفير ، ونفس الحادثة يذكرها الفاخري عام ١٠٨٨هـ : " ظهر محمد الحارث وقتل غانم بن جاسر الفضول، وهي سنة الضلفعة " بين الحارث والظفير وصارت على الظفير" ، ويوافقه ابن بشر بقوله: " ظهر محمد الحارث إلى نجد وقتل غانم بن جاسر رئيس الفضول . وهذه السنة هي مناخ الحارث والظفير، واصطلحوا ، وأخذ الحارث عليهم العقال، وأنزلهم من سلمى الجبل المعروف في جبل شمر..." وكذلك ابن عيسى، والبسام.

٦- ويذكرابن ربيعة في تاريخه في حوادث سنة ١٠٩٠هـ أن : (سلطان مكة براك الشريف، وشريف مكة محمد الحارث)، وكذلك ابن بشرفي حوادث العام نفسه يقول: (وشريف مكة يومئذ أحمد الحارث).

٧- ويذكر المنقور في أحداث عام ١٠٩٢هـ وفيها أخذ الحارث الدواسر، في المردمة ، أو حول المردمة ، ويوردها الفاخري في تاريخه، وابن عيسى، والبسام.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

إضافة إلى ما تذكره المصادر النجدية عن دور أمراء مكة الأشراف في غزو نجد مرات عديدة ومن فترات تاريخية مبكرة حتى القرن الثاني عشر الهجري.

وبعد البحث والمقارنة بين المصادر التاريخية المكية والنجدية والتحليل والربط بين الأحداث ترجح لدي –والله سبحانه وتعالى أعلم- أن أحداث وغزوات الأعوام التالية:١٠٥٦-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٧١-١٠٧٨هـ كانت للشريف أحمد بن محمد الحارث للأسباب التالية:

١- أن الشريف محمد الحارث بن الحسن بن أبي نمي توفي قبيل منتصف القرن الحادي عشر الهجري ، فقد ذكر محمد بن علي الطبري بأن وفاته في حدود عام ١٠٣٩هـ في سواكن التابعة لولاية الحجاز.

٢- تتحدث المصادر المكية عن عدة أدوار سياسية للشريف أحمد الحارث في عدة سنوات حتى وفاته ، مشيرة إلى براعته ونجابته ورجاحة عقله مما سبق ذكره في ترجمته ؛ مما يرجح أنه قائد الغزوات في نجد.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

ما ذكره المنقور وابن عباد والفاخري في أحداث سنة ١٠٥٦هـ : " وفيها ظهر أحمد الحارث...".

٣- إشارة (ابن بشر) إلى أنه في عام (١٠٧٨هـ) " كان شريف نجد أحمد الحارث " هي إشارة قوية وصريحة تؤكد على توليه زمام الأمور في تلك الديار نيابة عن شريف مكة.

٤- ذكرت المصادر المكية أنه عندما ولي الإمارة عام ١٠٨١هـ كان قادماً من نجد مما يؤكد أنه الحاكم المنفرد بنجد وقيادة الجيوش الحجازية هناك.

٥- تؤكد المصادر المكية وفاة الشريف أحمد الحارث عام١٠٨٥ هـ إجماعاً، وكذلك ابن بشر النجدي.

٦- أما غزوة (محمد الحارث) عام ١٠٨٧هـ لنجد فهي لابن الشريف أحمد الحارث الذي خلف والده في إدارة تلك البلاد بعد وفاة والده، حيث يذكر السنجاري قدوم محمد بن أحمد الحارث من نجد جمادى الأولى عام ١١٠٠هـ.

٧- والحادثة الأشهر في حياة الشريف أحمد الحارث هي توليته إمارة مكة عام ١٠٨١هـ لستة أشهر تقريبا بتشجيع من حسن باشا صاحب جدة؛ ودعم ومساندة من ابنه محمد الذي أتى بأبيه من نجد إلى المدينة النبوية، فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة بمسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونادى له بالبلد، وأمر بالدعاء له على المنبر ، وأرسل إلى جدة يريد ذخيرة يتجهز بها إلى مكة، فلما علم بتلك الولاية الشريف سعد بن زيد أمير مكة في تلك الفترة أرسل رسالة للشريف أحمد الحارث في غاية اللطافة واللين والرقة، مذكراً له بأنه الشيخ الوالد الحائز على كل كمال طريف وتالد ؛ ولكبر سنه وحكمته ورجاحة عقله وتقديره لعاقبة الأمور جعلته لا يميل إلى الاستمرار في الإمارة التي كانت ستؤدي إلى صراعات عسكرية مريرة بين أبناء العم ؛ فتنازل عنها مختاراً ؛درءاً لصراعات وسفك للدماء تكون الشهوة الشخصية للإمارة سبباً فيها ، أسوة بجده الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عندما تنازل عن الخلافة عام ٤١هـ درءاً للفتنة وحقنا لدماء المسلمين حتى سمي ذلك العام"٤١هـ" عام الجماعة .

وفي رجب من عام
١٠٨٥هـ توفي الشريف
أحمد الحارث رحمه الله.
وقد كانت داره – طيب الله
ثراه - في مكة بجوار
الحرم المكي بالقرب
من باب الصفا.